في الذكرى الأولى لرحيل القائد العام : بصمات وآثار صلاح شحادة حاضرة في كل عمل عسكري لكتائب القسام

28-7-2003

فهو لم يكن يسيطر على حماس القطاع فقط، وإنما قام أيضا بإعادة تشكيل البنية التحتية في الضفة عن بعد وأطلق العمليات ونقل تكنولوجيا الصواريخ و"القسام" ومارس الضغوط للبدء في إطلاقها باتجاه المدن الإسرائيلية. كما أجرى اتصالات مع حماس الخارج وألقى بظلاله على أحمد ياسين مكلفا اسرائيل ثمنا دمويا بصورة شبه يومية تقريبا، فعمليتي عمانويل مثلا كانتا من تنفيذ خلية أرسلت بايحاء منه

بقلم وسام عفيفة

مواد ذات علاقة

مسيرة صلاح شحادة من السجون إلى الشهادة

في الذكرى السنوية لرحيل القائد العام لكتائب الشهيد عزالدين القسام لازالت بصمات وكلمات الشهيد صلاح شحادة (ابو مصطفى) حاضرة في وجدان أابناء حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بعد أن سلم الأمانة وترك مؤسسة عسكرية قوية، وكان نموذجا للقائد الرباني الذي أمضى حياته مجاهدا بين أذرع الحركة الجهادية ومعتقلات الإحتلال وخدمة المجتمع والمقاومة في الميدان، ويرى كثير من المحللين والمراقبين أن عملية اغتيال القائد شحادة كانت أولى حلقات مسلسل استهدف حماس في القطاع، حيث استطاعت أجهزة الأمن الإسرائيلية توجيه ضربة قوية لحماس وتحديدا جهازها العسكري باغتيال القائد أبو مصطفى الذي وُصف بأنه أبرز قائد عسكري على الساحة الفلسطينية تم اغتياله حتى الآن.

* المجزرة

ليلة الاثنين 22-7-2002 ارتكب جيش الإحتلال الإسرائيلي المجزرة البشعة في غزة والتي أدت إلى استشهاد القائد العام لكتائب القسام ومساعده زاهر نصار وأكثر من خمسة عشر آخرين وإصابة ما يزيد عن 50 فلسطينيا،

في الأشهر الأخيرة، كان جيش الإحتلال قد كثف من مراقبة تحركات القائد العام لكتائب القسام مستخدما بذلك أحدث الوسائل والتقنيات التكنولوجية إلى جانب العملاء، وذكرت "يديعوت احرنوت" أن الفوهة الإسرائيلية كانت تتعقب شحادة، هذه حقيقة كانت تعرفها حماس ويعرفها كل من تتبع قرارات الطاقم الوزاري. بعد عملية حزيران التي استهدفت حافلة ركاب عند مفترق بات في القدس، عززت إسرائيل من جهودها لضرب قادة حماس في غزة.

وكشفت الصحيفة أن الحكومة الاسرائيلية اتخذت قرار اغتيال قادة حماس السياسيين والعسكريين، باستثناء مؤسس حركة المقاومة الاسلامية حماس الشيخ أحمد ياسين، وذلك في جلسة للطاقم الوزاري وأودع القرار بأيدي الجيش من أجل

تنفيذه. أما المصادقة النهائية على تنفيذ العمليات فقد أنيطت برئيس الحكومة وبوزير الدفاع. ودعم بيرس أيضًا العمليات ضد قادة حماس. وحسب المعلومات المتوفرة لدى الجيش، كان شحادة يتواجد في البيت مع زوجته وابنته، ابنة الـ 14، ومساعده زاهر ناصر. وأفاد رئيس الشاباك ابي ديختر، أن شحادة ورجلين آخرين يتواجدون في المنزل. ووصف ضباط المخابرات المنزل بتفاصيله وأشاروا إلى أنه محاط بساحة. وأوصى الجيش بتدمير البيت عبر قصفه بصاروخ تطلقة طائرة إف 16، لانه بهذه الطريقة فقط يمكن ضمان نجاح العملية، واغتيال شحادة. 20 دقيقة بعد منتصف الليل، تلقى شارون أول تقرير عن العملية : هدم البيت الذي يقيم فيه شحادة. ولم يكن من الواضح كا إذا كان شحادة قد قتل. وقرابة الساعة الثانية والنصف فجراً، سمع شارون من سكرتيره العسكري، الجنرال يوآب غلانط، أن العملية توجت بالنجاح. فلقد تم التعرف على جثة شحادة. مع ذلك أبلغ شارون أن مدنيين من النساء والأطفال قتلوا في العملية.

* ابو مصطفى أرعبهم

القائد العام صلاح شحادة أرعب الصهانة، وكان شبحه يطاردهم خاصة كلما نفذت كتائب القسام عملية موجعة، وفي جيش الإحتلال كانوا بين خيارات جميعها قاسية، فاستمرار عمل ابو مصطفى يعني اتساع نطاق العمل العسكري وتطوره وتنظيم المؤسسة العسكرية والفكر المقاوم واغتياله لم يكن ليوقف المقاومة أو يحل المشكلة بل إن ردة الفعل ستكون قوية. الصحفي بن كسفيت مراسل في (معاريف) قال : شحادة هو أبرز الشخصيات التي تم اغتيالها حتى الآن. وبوغي يعلون(المجرم رئيس هيئة أركان الارهاب) يلقبه بـ "الحوت" أو بـ "القنبلة الثقيلة الموقوتة". فهو لم يكن يسيطر على حماس القطاع فقط، وإنما قام أيضا بإعادة تشكيل البنية التحتية في الضفة عن بعد وأطلق العمليات ونقل تكنولوجيا الصواريخ و"القسام" ومارس الضغوط للبدء في إطلاقها باتجاه المدن الإسرائيلية. كما أجرى اتصالات مع حماس الخارج وألقى بظلاله على أحمد ياسين مكلفا اسرائيل ثمنا دمويا بصورة شبه يومية تقريبا، فعمليتي عمانويل مثلا كانتا من تنفيذ خلية أرسلت بايحاء منه. رئيس هيئة الأركان قرر في ظل كل ما ذكر أن يخوض المخاطرة المدروسة، أي أن ايقاف نشاط شحادة أولوية ملحة وعلى الجيش أن يتحمل خطورتها ومسؤوليتها. وفي السياق نفسه علق اليكس فيشمان محلل رئيس في صحيفة يديعوت بقوله : (من أجل تصفية "الخلايا السرطانية"، يجب الوصول إى الدماغ. وهناك كانت المفاجأة : اتضح أن هذا الدماغ يقيم في غزة. لم يكن في غزة شخصية تشكل مرجعية لحماس في الضفة الغربية، وفجأة، في الأشهر الأخيرة أشارت المعلومات الاستخبارية إلى هذه الظاهرة الجديدة : صلاح شحادة الرجل الذي يعتبر رقم 1 لعز الدين القسام في قطاع غزة يدير من شقق خفية شبكة كبيرة لإدارة العمليات في الضفة الغربية خاصة في (السامرة)، في نابلس وجنين. وكان قد احتل مكان رجال حماس الذين تمت تصفيتهم أو اعتقلوا في "السور الواقي" و"الطريق الحازم"

وشكل مرجعية روحية وميدانية في كل شيء. وبدأ الجهاز الاستخباري يحكم الطوق على هذا الشخص).

* شهران في عصر الصحابة

بهذه الجملة وصفت ماجدة قنيطة حالها مع زوجها صلاح شحادة. شهران فقط هما عمر الحياة الزوجية التي قضتها ماجدة -27 عاما- مع القائد شحادة المطلوب رقم (1) لجيش الاحتلال الإسرائيلي، حيث أكدت أن حياتها كانت مليئة بالمغامرات، محفوفة بالمخاطر مع زوج روحه على كفه، عاشق للجهاد والانتقام من الأعداء، إلا أنها كانت أفضل أيام عمرها. ورغم الأعباء الثقيلة المنوطة بالشيخ شحادة من إدارة للجهاز العسكري لحماس في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتنسيق بين الجهاز العسكري والسياسي للحركة، فإنه كان يحاول أن يعطي زوجته حقها، وعن هذا تقول ماجدة : "كان دائما يضع مخافة الله أمام عينيه وكأنه يمشي على الصراط، وكأن الجنة والنار ماثلتان أمامه، يفتش عن نيته قبل أن يخطو خطوة، لا تغفو عينه إلا بعد الساعة السابعة صباحا، ينام ساعتين أو ثلاثا تقريبا، ثم يصحو ليتناول طعام الإفطار معي، وكان يحب دائما أن يساعدني ويعمل معي حتى يخفف عني رتابة العمل، ثم يجلس في مكتبه يستقبل المكالمات، ويرد على الرسائل التي كانت تأتي إليه بكثرة من الشبان عاشقي الشهادة، أو رسائل إدارية تخص الجهاز.

* احتياطاته الأمنية

وعن احتياطاته الأمنية أوضحت ماجدة "أنه كان يهتم بشدة بهذا الجانب، وكان سلاحه الشخصي لا يفارقه حتى داخل المنزل". وأشارت إلى أنه كان يقول: "لا يظنوا أن قتلي سهلا، فلست ممن يُقتل ولا يدافع عن نفسه، ولن يقتلوني دون خسائر".

وتضيف: "كان لا يركب السيارة فورا، بل كان أحيانا يمشي قليلا ثم يركب السيارة، وأحيانا نأخذ سيارة أجرة إلى مسافة قصيرة ليتأكد أنه غير مراقب أو أن أحدا يتبعه، فننزل من السيارة الأجرة ونستقل سيارة أخرى، وأحيانا كان يقود السيارة بنفسه، وكنا لا نستقر في بيت، ولا نمكث في البيت الذي نستأجره أكثر من 7 أيام، وأحيانا أقل، حيث تنقلت خلال الشهرين في خمسة بيوت". وتضيف: "حياته حقا كانت في خطر، ولو علم اليهود بأمره لقصفوا المكان الذي به، أو أنزلوا جنودهم لخطفه، ولكن الخوف لم يعرف يوما طريقا إلى قلبي؛ لأنه كان يتعامل معي كإنسان عادي يريد أن يعيش ويغتنم كل فرصة في الحياة ليخدم دينه وحركته وجهاده، وعندما كنت أنهاه وأطلب منه أن يأخذ الحيطة والحذر أكثر، يرد علي: أريد أن أغتنم كل لحظة من حياتي؛ فأيامي معدودة، وسألقى ربي، وأريد أن ألقاه وهو راض عني؛ فالشهادة عندي أسهل من شربة ماء يتناولها أحدنا".

وحول أهم ما تعلمته من القائد القسامي تقول: إنها تعلمت منه التواضع وامتلاك الأعصاب الهادئة، والتصرف في الأمور بحكمة، مشيرة إلى أنه كان يقول لها: إن القائد يجب أن يكون هادئ الأعصاب لا ينفعل.

* صحابي القرن الـ 21

وأضافت: "كان حقا صحابيا في القرن الواحد والعشرين، لقد كان أمّة تفيض بالحب والتسامح، فقد كان يقول: يجب أن نربي الأجيال القادمة على الحب والتواضع". وتؤكد ماجدة أنه كان شديد التواضع، لا يغضب أحدا منه، وكان على استعداد لأن يخاطر بروحه في سبيل أن يزيل غضب أي إنسان عنه؛ لأن شعاره كان دائما: "أحب أن ألقى ربي وليس في كتابي مظلمة لأحد، أريد أن أفوز بالجنان ورضى الرحمن"، وتستكمل ماجدة: "كان يمتلك سحرا عجيبا يمكنه من أسر القلوب بنظرة واحدة منه، وفرض احترامه على العدو قبل الصديق". وتواصل ماجدة: كان إذا سمع صوت الأناشيد الإسلامية التي تحض على الجهاد خاصة نشيد "هيأت لي أمي فراشا" يبكي بكاء شديدا ويقول لي: "ودعت شهداء كثيرين من خير شباب الحركة الإسلامية سبقوني بإذن الله إلى الجنة، أوشك أن أقبّل قدم أحدهم وأنا أودعه وأرجوه أن يسلم لي على صحابة رسول الله وأبي بكر وعمر، وأرجو من الله أن يجمعني بأولادي الاستشهاديين وصحابة رسول الله". وتصف زوجة الشيخ شحادة ليلة وداعه لجثمان أحد الاستشهاديين فتقول: "عاد إلى المنزل بعد منتصف الليل بعدما ذهب لذوي أحد الاستشهاديين بنفسه ليبشرهم بخبر استشهاده، وليخفف عنهم مصابهم، وأخذ يقول لي: إني أشم رائحة المسك تعطر ملابسي وتملأ المكان، وظلت رائحة المسك في أنفه حتى بعدما اغتسل وبزغ الفجر".

* من سيرة القائد العام

الاسـم: صلاح مصطفى محمد شحادة.

البلدة الأصلية: يافا - من مواليد بيت حانون شمال قطاع غزة.

المؤهل الجامعي: بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية من جمهورية مصر العربية.

* التحق بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية في الإسكندرية، وفي السنة الثالثة بدأ التزامه بالإسلام يأخذ طابعاً أوضح.

* بدأ العمل في الدعوة إلى الإسلام فور عودته من مصر إلى قطاع غزة .

* اعتقلته سلطات الاحتلال في العام 1984 للاشتباه بنشاطه المعادي للاحتلال الصهيوني غير أنه لم يعترف بشيء ولم يستطع الصهاينة إثبات أي تهمة ضده أصدروا ضده لائحة اتهام حسب قانون الطوارئ لسنة 1949، وهكذا قضى في المعتقل عامين .

* بعد خروجه من المعتقل في العام 1986 شغل منصب مدير شؤون الطلبة في الجامعة الإسلامية إلى أن قررت سلطات الاحتلال إغلاق الجامعة في محاولة لوقف الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في العام 1987، غير أن الشيخ صلاح شحادة واصل العمل في الجامعة حتى اعتقل في آب/ أغسطس 1988 .

* في 18-8-1988م، واستمر التحقيق حتى 26-6-1989 في سجن السرايا، ثم انتقل من زنازين التحقيق إلى غرف الأسرى، وفي 14-5-1989م أعيد إلى زنازين التحقيق بعد أن تم الاعتراف عليه بمسؤولية الجهاز العسكري لحركة حماس، واستمر التحقيق لمدة 200 يوم، وبذلك بلغ مجمل التحقيق معه حوالي عام كامل،

وكانت التهم الموجهة إليه المسئولية عن الجهاز العسكري لحماس، وإصدار أوامر باختطاف الجنديين (سبورتس، وسعدون)، ومسئولية حماس، والجهاز الإعلامي في المنطقة الشمالية، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات على تهمة مسئولية حماس والجهاز الإعلامي في المنطقة الشمالية، أضيفت إليها ستة أشهر بدل غرامة رفض الشيخ المجاهد أن يدفعها للاحتلال.

* وبعد انتهاء المدة حول إلى الاعتقال الإداري لمدة عشرين شهرًا ليتم الإفراج عنه بحمد الله تعالى في 14-5-2000.

* الشيخ صلاح شحادة هو مؤسس الجهاز العسكري الأول لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" والذي عرف باسم "المجاهدون الفلسطينيون"، ووجهت له تهم تشكيل خلايا عسكرية وتدريب أفرادها على استعمال السلاح، وإصدار أوامر بشن هجمات ضد أهداف عسكرية صهيونية.

للعودة للأعلى

مسيرة صلاح شحادة من السجون إلى الشهادة

24-7-2002

اعترف القادة العسكريين الإسرائيليين بعد اغتيال قائد كتائب حماس أنهم حاولوا عدة مرات القضاء عليه خلال الشهر الأخيرة لكن محاولاتهم باءت بالفشل كونه كان يغير مكان اختبائه في كل مرة و يحسن التمويه على تحركاته الأمر الذي أربك استخبارات العدو و حملها على المخاطرة بارتكاب مجزرة على أن تفوت فرصة اغتياله. و يقول ضابط أمن فلسطيني أن رجال المخابرات الفلسطينين كان سيصعب عليهم التعرف على صلاح شحادة لو التقوا به في الشارع. و يبقى التساؤل الكبير معلقا بخصوص كيفية تسرب مكان إقامته الجديدة في شقة متواضعة وسط أحد أحياء غزة كان قد أجرها مؤخرا باسم مستعار

عرف عن الشهيد صلاح شحادة انخراطه منذ سن الشباب في النشاط العسكري ضد "إسرائيل". و انطلاقا من نشأته بين أوساط "الإخوان المسلمون" لم يكن يدخل حسابات سياسية في طريق تحقيق هدف تحرير الأرض الفلسطينية كلها. و تنقل مصادر فلسطينية أن القليلين الذين اقتربوا منه من بين ممثلي فصائل السلطة و المنظمات العلمانية المسلحة لم يجدوا عنده استعدادا للتنازل لكن احتفظوا بالمقابل برده القاطع:" الجهاد أمر رباني و لا نطلب إذن أحد لمواصلته". لكن مع ذلك كان لا يعارض اتخاذ قرارات تكتيكية مهدئة مقابل مناعة ناشطي كتائب القسام من مخالب الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

ولد صلاح شحادة في مخيم بيت حنون شمالي غزة بعد عاك واحد من طرد عائلته من مدية يافا داخل الخط الأخضر غداة إقامة الدولة اليهودية (1949). التحق بصفوف "الإخوان المسلمون" في الجامعة حيث درس العلوم الاجتماعية. سافر إلى مصر لمتابعة دراسته و تواصل مع المجموعات الفدائية الفلسطينية الناشطة و التي كانت تخطط و تنفذ أعمال المقاومة بعد حرب 1967 و احتلال أراضي الضفة و القطاع. و اعتقال شحادة أول مرة العام 1984 حيث قضى سنتين وراء القضبان، و انكب بعدها على تشكل أولى خلايا "المجاهين الفلسطينيين" مع بداية الانتفاضة الأولى و التي ستكون فيما بعد نواة كتائب عز الدين القسام بعد تأسيس حركة حماس.

و توالت العمليات المسلحة الجريئة ضد المجندين الإسرائيليين الذين كانوا يتدربون في مستوطنة آتزمونا و أمام مزرعة (كيبوتز) قريم شالوم. و في العام 1988 اعتقل صلاح شحادة مرة أخرى و حكم عليه ب 10 سنوات و نصف سجنا نافذة بتهمة مشاركته في التخطيط لعملية اختطاف و قتل جنديين إسرائيليين. و بعد انقضاء مدة الحكم بقي معتقلا أكثر من سنتين إضافيتين في ظل نظام الاعتقال الإداري بدون محاكمة، إلى أن اطلق سراحه في شهر مايو 2000. و عاد شحادة بسرعة إلى النشاط في إطار كتائب القسام كما أصبح من القادة النافذين في حركة حماس وقريب جدا من قائدها الشيخ ياسين و وضع إسمه بسرعة على رأس قائمة المطاردين المطلوبين من جيش الاحتلال منذ العام 2001 بعد أن أخذت انتفاضة الأقصى منحى المقاومة المسلحة.

و اعترف القادة العسكريين الإسرائيليين بعد اغتيال قائد كتائب حماس أنهم حاولوا عدة مرات القضاء عليه خلال الشهر الأخيرة لكن محاولاتهم باءت بالفشل كونه كان يغير مكان اختبائه في كل مرة و يحسن التمويه على تحركاته الأمر الذي أربك استخبارات العدو و حملها على المخاطرة بارتكاب مجزرة على أن تفوت فرصة اغتياله. و يقول ضابط أمن فلسطيني أن رجال المخابرات الفلسطينين كان سيصعب عليهم التعرف على صلاح شحادة لو التقوا به في الشارع. و يبقى التساؤل الكبير معلقا بخصوص كيفية تسرب مكان إقامته الجديدة في شقة متواضعة وسط أحد أحياء غزة كان قد أجرها مؤخرا باسم مستعار "العشايشي" و عرفه الجيران كفلسطينين قادم من خان يونس.

و بخلاف المراسم التي تتبع موت الاستشهاديين الفلسطينيين، يكون قد ترك الشهيد شحادة وصية طالب فيها عدم نشر صور له بعد وفاته أو فتح دواوين العزاء داعيا على استمرار المقاومة.